حديث المؤلفين

محمد علي الشيخ

يوسف العارف ؛ كأنما ورث من التاريخ ذاكرة الإسم والرؤيا : صيغة من جمال الأخلاق وفطنة البصيرة ، وتلاوة مكية ، ورقية فقيه .

هو ليس أديبا ومؤرخا وناقدا وباحثا وإداريا ومربيا فقط ، هو موسوعي الثقافة وانتصار للنور كالصباح .

تلقاه في بيته كما في الشارع يفتح صدرك بقبوله ، ويبذر الإنشراح ؛ كأنك العائد من اغتراب ، أو شفيت من مرض : ويسألك (وينك) وكنت بالأمس معه – كأنه يحسب الأيام سنينا !!!!

كلنا قرويون : محمد ويوسف ومبارك = نصغي للمذيعة ، ونحفظ حكايا غالية البقمية وشهيرات نجد ، والمترفات من سيدات الحجاز ، ونحفظ أشعار بديوي الوقداني والسلف من الراحلين ، ونقرأ الفاتحة على ضحايا الحرب والعشق .

في بطون أقدامنا غرز الممشى ، وعلى أعقابها أختام الحفاة .

تباركت الأسماء : كنا زملاء في الدراسات العليا – مرحلة الماجستير – وزملاء مهنه . نتقاسم الأمل والنوايا . لم نفترق ؛ وإن حسدتنا الأمكنه ... ونازعنا فارق التوقيت . جمعتنا الكتابة – تلك الغواية المتوحشة – وآلف بيننا التخصص والهواية .

صدرت مجموعتي القصصية الأولى = العقل لايكفي (١٤٠٢ – ١٩٨٢) وكانت فاتحة القص – العودة إلى الصحراء – ٢٥ رجب ١٣٩٢ بالصفحة الثقافية بجريدة المدينه – قبل ملحق الأربعاء الذي وسع للمدينة حدود الإنتشار ، واستقطب حديثي الولادة والمخضرمين من أهل الكتاب!!!

وبناء عليه – وحسب الممسكات السالفة والتابعة ؛ فأنا شيخ المؤلفين بمحافظة خليص ، أو ؛ إن تواضعت = الخليفة الثاني في دولة الكتابة (وقد آذنت لك بالإبتسام) وقدم الدكتور مبارك (يرحمه الله) جهودا مباركة سد بها بعض الثغرات في تاريخ المحافظة ؛ ذلك التاريخ الذي لم يحظ إلا بالنزر اليسير المبثوث في الكتب ، لكن مشروع الدكتور مبارك امتداد لمشروع الشيخ عاتق البلادي والدكتور فايز البدراني ، ولم يقدم قراءة جديدة .

في ذلك الزمن الملتبس : قدم يوسف العارف من أقصى المدينة إلى المدينة !!! كانت السنين سمان ، والمشهد الثقافي بجده – على مستوى السرد والشعر – عنيفا . تقوده قافلة من الرموز ، سجلوا حضورا محليا واقليميا فارها ومترفا ومؤثرا .

كان العارف قد تنقل – رأسيا – بين عدة مناصب في فلك التعليم ومحاور التربية والإدارة داخل المملكة وخارجها .

وألف ونشر ، واتسعت مداركه وتوثقت مرجعياته المعرفية . وكأنما كان الوسيط بين (المحافظين والحداثيين) تبنى قراءة متوازنه ، وشرعن لمفهوم (القابلية المتجددة) قال الشعر ، وكتب فيه ، وقدم نصوصا تاريخية فارقة ، وابتكر معالجة نقدية لقراءة الأجناس الأدبية : صالحت بين القراءات المتحاربة ، و زاوجت بين المؤتلف والمختلف بعيدا عن النسق الهامشي والمنبوذ ، والمعمى ، ونظرية المتعة والتسلية . يوسف العارف : جامعة بها كل التخصصات .

تشرفت بتقديم أخي الدكتور مبارك بتقديم كتابي (سيرة الشيخ حسن بن عبدالصمد) وتشرفت بتقديم أخي الدكتور يوسف لكتابي (رجال وظوامر) ولم تخلو مؤلفات الأخوين من الإشارة لشخصي (أنا) ألذي لم أغادر ذاكرة الرجلين . رحل مبارك وبقي يتنفس في مدونات التاريخ والصحائف المطوية في صدور الرجال " كل القصص التي كتبتها كنت أنتظر نهاياتها ؛ إلا قصتك التي انتهت قبل أن أكملها " رحل مبارك – يرحمه الله – وبقيت أنا وكبيرنا الذي علمنا السحر !!! نجمع أغراضنا استعداداً للرحيل ...

محمد علي الشيخ